في رحـــاب ذكرى ميلاد خير البشرية

محمد (صلى الله عليه وسلم)

بقلم : خلف مرسى

كلما أهل علينا شهر ربيع الأول ، تطالعنا ذكرى عزيزة على قلوبنا ، ذكرى عطرة تملأ الكون بأريجها ، فتصفوا الأرواح فى روحانية سامية ، وتفيض الأفئدة والقلوب بعاطفة جياشة ، وتنشر القرنفل الممزوج بشذى الأزهار ، وأروع الأعطار .

ذكرى مولد نبي الرحمة ... وهادى الإنسانية ... ومنقذ البشرية ... محمد رسول الله (ﷺ) ... المتخير من معدن الحسب الزاكي المنيع ... ومن دوحة النسب العالي الرفيع ... نسب قام بإبراهيم بنيانه ... وارتفعت بإسماعيل أركانه ... واستقرت بقريش أوطانه ... وتجلى فى شيبة الحمد عنوانه ... أما مكة فمكانه ... وأما الربيع فزمانه ... فأيقظوا أسماعكم يا أمم العالمين ﴿ ....قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

المائدة: ١٥

وبعـــــــــد:

- **<u>سيدى يا رسول الله</u> ... مهما تحدث العلماء ، وتبارى الشعراء ، وخطب الخطباء ، عن جميل صفاتك وأخلاقك ، لن يوفوا أبدا من الثناء والإطراء على شخصك الكريم ، لأنك أرفع الناس درجة عند الله ، وأعظمهم شأنا عند أهل السماوات .**

- **<u>سيدى يا رسول الله</u> ... بماذا أصف شخصيتك التي بلغت من الجلال مداه ، ومن الوقار ذراه ، ومن السمو منتهاه .**

- **<u>سيدى يا رسول الله</u> ... بماذا أقدرك حق قدرك ، وأنت الأسوة الحسنة للمؤمنين ، والقدوة الطيبة للعابدين ، والمثل الأعلى للأبرار والصديقين ، والمشعل الإلهي للحائرين .**

- **<u>سيدى يا رسول الله</u> ... بماذا أصف ملامحك وسماتك ، وأنت نور مجسد تضئ طريق العصور ، وتلقى على قوافلها نورا بعد نور ... أتيت بمنهاج السماء ، فهديت النفوس بعد ضلالها ، وحررت العقول من أغلالها .**

- **<u>سيدى يا رسول الله</u> ... معذرة ... إذا توقف القلم خاشعا من هيبتك ... وتلعثم اللسان رهبة من عظمتك ... فمن تاريخك يستلهم التاريخ أعلى آياته ... وأروع صفحاته ... علمت البشرية كيف تبنى بالعلم والحضارة ... وتتعامل بالمحبة والمودة والطهارة ... فأنت الذى أرتفع بإنسانية الإنسان إلى مدارج الكمال .**

- **<u>سيدى يا رسول الله</u> ... كيف امدحك وقد مدحك الله ...**

- **فقد عظم خلقك فقال :** ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ القلم: ٤
- **ورفع ذكرك فقال :** ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ الشرح: ٤
- **وزكى عقلك فقال :** ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ النجم: ١ - ٢
- **وزكى لسانك فقال :** ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ النجم: ٣ - ٤
- **وزكى صاحبك (سيدنا جبريل) فقال :** ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ النجم: ٥
- **وزكى مكة بلدك فقال :** ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ التين: ١ - ٣
- **وزكاك كلك فقال :** ﴿ .... قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ المائدة: ١٥
- **ورفع شأن أمتك فقال :** ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ .....۝١١٠﴾ آل عمران: ١١٠

حقاً ... فقد مضت فترة من الزمن لم يحظ العالم فيها برسول يبصره بمعالم الهدى ، ويأخذ به إلى سبيل الرشاد، فاضطربت الأحوال وتنافرت الجماعات ، وساءت الأخلاق ، وسرت بينهم رياح الجشع والطمع ، فتدابروا وتنافروا ، وعادوا بسيرتهم إلى حياة صاخبة لاهية ، لا تعرف للأمن سبيلا ، و لا إلى السلام طريقا ، وإذا أشتد الظلام وأكفهر الليل ، وتنادى أولوا الألباب .... أما لهذا الليل من آخر ؟! أما لهذا الظلم من نهاية ؟! أما آن للعالم أن يعرف طريقه إلى رسالته ، في دنياه من عبادة الإله الخالق الرازق القيوم ؟! أما آن للوجود أن يحقق غايته ، من عمارة الدنيا بالعمل الطيب زاد الإنسان من دنياه إلى أخراه ، من معاشه إلى معاده ، من يومه إلى غده .

نعم ... لقد آن للإنسان أن يبصر الطريق بعد طول اضطراب ، وآن للفجر أن يشرق ، والشمس أن تسطع ، وللحق أن يظهر ويبهر .

فكان المولد ... مولد النور ، ومشرق الضياء ، مولد رسول الإسلام ، ومشرق رسالة الإسلام ... كان المولد الأعظم ، ثم المبعث الأخلد والأشمل .

لقد شرف الله بنى الإنسان بأكمل الناس ، وأشرف الخلق صلوات الله وسلامه عليه ... فكان بشرا سويا ، يحمل رسالة الفلاح إلى العالمين ، وشرف أهل الإسلام بشريعته الخالدة ، التي تضمن للأجيال على مدى الأزمان ، سعادة الدارين والفوز بمرضاة الله ورسوله ... الشريعة التي ألف بها القلوب ، وساوى بين الأجناس ، ووحد بين الأشتات ، وجعل قاعدتها الأولى دعوة التوحيد ... توحيد الله سبحانه ، فلا ند له ولا شريك ولا صاحبة ولا ولدا ﴿ ....لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ الشورى: ١١ .... وتوحيد في العقيدة والتشريع ، لا فرق بين أبيض وأسود ، ولا بين غنى وفقير ، ولا ذكر وأنثى ، حتى يستقيم أمر الجماعة ، ويجتمع الكل على غاية واحدة .

إن البشرية نعمت برسالة الإسلام ، ووجدت فيها ملاذا يحفظها من الضياع والهوان ، وحصنا يحميها من الفرقة والمذلة ، وظلا يقيها شر الفتن ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٩ .

وبعد .. سيدى يا رسول الله ... ما أعظم الحديث عنك ، وما أحلاه على الألسنة ، وما أعذبه في الأسماع ، وما أروع وقعه في القلوب ، حياك الله في ميلادك ، يوم أن أرسلتك العناية الإلهية ، لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الضلالة إلى الهدى ، فأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وكشفت الغمة ، وفى ذلك أقـــول :

لا أخشى الليـل إذا أظلـم
الفجـــر بقـلبي يتبســـم
من نور المبعـوث الأعظـم
المختـار الهـادي البلسـم
في حضرته نطق الأبكم
الناقـة جـاءت تتكلـم
والجـذع الباكي يتـألم
والمنكر من عجـب أسلـم
أحنى خلـق الله وأرحـم
قـاد وشـاد وجـاد وأطعـم
وأذل الشيطـان وأرغـم
صـلى الله عليـه وسلـم

وسيبقى ذكرى ميلادك العظيم ، ذكرى تتجدد كل عام ، وتعبق بشذاها العاطر الأيام ، وتشدو بجلالها وجمالها الأجيال والأعوام .